وسائل الاتصالات السريعة في حروب العرب المسلمين حتى منتصف القرن الرابع الهجري

أ.د. خولة عيسى صالح الفاضلي
قسم التأريخ /كلية التربية للبنات
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

كرس هذا البحث لدراسة وسائل الاتصالات في حروب العرب المسلمين حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، فأشار الى استخدام عدة وسائل لتحقيق ذلك مثل الخيول السريعة ، والحمام الزاجل ، المناظر (المناور) ، التي كانت تضاء ليلاً للاخبار من مسافات بعيدة ، فضلاً عن استخدام الطبول والابواق والنار لذلك.

تمهيد

تسعى دول العالم قديماً وحديثاً الى ابتكار وتطوير الوسائل الكفيلة بايصال الاخبار الهامة بأسرع مايمكن لكي لاتباغت بهجوم او اعتداء مفاجئ وتعد هذه الوسائل امر لايمكن الاستغناء عنه في تأمين الامن القومي للدولة،لذا نجد اليوم دول العالم المتقدم تقطع اشواط بعيدة في تجنيد العقل الانساني لابتكار وتطوير مثل هذه الوسائل ، فاستخدمت فيها احدث التقنيات العلمية كأقمار التجسس الفضائية وشبكات الرادار المتطورة وطائرات الاستكشاف وما الى ذلك من وسائل اخرى.

اما الدول التي نشأت في العصور الوسطى فلقد كانت هي الاخرى لها وسائلها في التحذير والانذار المبكر ، والتي كانت تتفق وطبيعة مرحلة التطور آنذاك ، غير انها حققت ذات الاهداف ، وكان للعرب المسلمين دورهم المشهود في هذا المجال

فأتخذوا وسائل عديدة لرصد حركات اعدائهم وبالتالي افشال مخططاتهم العدوانية ، كما استخدموا هذه الوسائل لعقد الاتصال بين القيادة العامة للجيوش الاسلامية والقطعات المنتشرة في بقاع شاسعة من ارجاء الدولة او حتى خارج حدودها ان اقتضى الحال ذلك وبالعكس . وكان من بين هذه الوسائل مايأتي:

أ. البريد البري السريع

وهو البريد العاجل الذي يمثل أسرع التنظيمات البريدية لايصال الاخبار بوسائل النقل البري (الدواب) وكان ينظم خصيصاً لاوقات الازمات والحروب،والاستخبار عن حالات معينة تمس امن الدولة وسلامتها [1]. وقد استخدمت الخيل في الغالب لطلب الاخبار على وجه السرعة نظراً لتميزها بسرعة الجري [2] ، منذ عصر ماقبل الاسلام [3] ،واستمر الامر على ذلك في العصور الاسلامية اللاحقة ، فضلاً عن استخدام الحجازات التي تمثل اسرع انواع الجمال[4].

وقد ظهرت الحاجة الى التماس الاخبار الهامة على وجه السرعة منذ الوهلة الاولى لارساء دعائم الدولة العربية الاسلامية ، استجابة لمتطلبات الدفاع عن النفس بوجه الاعداء من كفار قريش واليهود[5]. ثم توالى نشاط عملية نقل الرسائل والاخبار بعد وفاة الرسول (ص) بين الخليفة ابي بكر الصديق (رض) والقادة العسكريين لاسيما منذ بدء حروب الردة بسرعة مدهشة جعلت الخليفة على علم تام بدقائق احداث القتال في سوح المعارك [6]. فمكنته من ايصال توجيهاته وتوصياته في توزيع القادة ورسم الخطط الحربية الى ساحات القتال بسهولة ويسر [7]. وتصاعد هذا النشاط في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وليس ادل على ذلك من كتابه الذي بعث به الى القائد سعد بن ابي وقاص في معركة القادسية 14هـ/635م والذي قال له فيه :"واكتب الي اين بلغك جمعهم ومن رأسهم...والذي استقر عليه امر

عدوكم ، فصف لننا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم ، وتبين المدائن صفة كأني انظر اليها واجعلني من امركم على الجلية.." [8] ، الامر الذي يوحي بتواصل المراسلات السريعة بين الخليفة عمر (رض) وقائده سعد الى الحد الذي جعل دقائق احداث المعركة على مرأى من الخليفة المقيم آنذاك في المدينة المنورة[9].

وحدث مثل ذلك في معارك تحرير الشام (اليرموك) ، فوصلت الاخبار الى الخليفة عمر (رض) اولاً بأول[10] ، كما نقلت توجيهاته بتعيين القادة وعزل الاخرين منهم حسب متطلبات الوقائع والاحداث،كما حدث في امر عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش ، وتأمير أبا عبيدة عامر بن الجراح اثناء حروب تحرير الشام عام 17هـ/638م[11].

غير ان النصوص التاريخية تشير الى ان التنظيم الاداري الحقيقي للبريد بدأ في عهد معاوية بن ابي سفيان (41هـ- 60هـ / 661-680م) فرتب له الدواب والمحطات بشكل منظم[12] ، وقسم المسالك الرئيسة الى مراحل او منازل، وجعل بين مرحلة واخرى مسافة اثنا عشر ميلاً ، لكل مرحلة خيل معدة لنقل البريد[13] ، وذلك لكي تسرع اليه اخبار البلاد من جميع اطرافها [14]. ثم احكمت امور البريد وادخلت عليها تحسينات عديدة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65هـ- 86هـ / 685م-705م)[15].ويمكننا ان نتلمس اثر ذلك من خلال الدور الفاعل للبرد الحربية التي بلغت درجة عالية من السرعة والدقة والتنظيم في القضاء على الحركات المناوئة الخارجة على الحكم في عهده[16] ، فضلاً عن دورها في الوقوف على اخبار الحملات العسكرية التي وجهت الى اصقاع بعيدة عن مركز الخلافة الاموية في دمشق ، ومما يدعم هذا القول ماورد عن وصول البريد الى واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وهو في الكوفة من القائد محمد بن القاسم الثقفي الذي كان يقود العمليات

الحربية في الهند بسرعة تفوق الوصف [17].ولايمنع ان يكون الامر كذلك مع القائد قتيبة بن مسلم الباهلي الذي وصل بفتوحه الى حدود الصين،خاصة وان الحجاج بن يوسف كان شديد الحرص على الاتصال الدائم بالقادة في جبهات القتال [18]،إسوة بالخليفة عبد الملك بن مروان الذي كان يهتم بهذا الامر بشكل واضح [19] حيث كان على اتصال مستمر بقادته. ولقد حذا خليفته الوليد بن عبد الملك حذو أبيه في ذلك فروى الطبري [20] أنه كتب الى قائده قتيبة بن مسلم بعد ان فتح الشاش عام 95هـ/713م ورجع الى مرو "...ولاتغب عن امير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي انت به". كما كانت اخبار فتوح سعيد بن عمرو الحرشي للخزر تصل الى الخليفة هشام بن عبد الملك بسرعة مدهشة،حتى انه كان ينتظر منه التوجيه في كل تحركاته[21].

وتواصل نشاط هذا النوع من البريد العاجل أبان عهود العباسيين فكانت اخبار الحروب التي خاضوها داخل حدود الدولة العربية الاسلامية او خارجها تصل الى الخلفاء بأقصى سرعة ، فمما ذكر عن ذلك ان الخليفة محمد المهدي حين وجه ابنه هارون الرشيد لقتال الروم "رتب مابينه وبين معسكر ابنه برداً كانت تأتيه بأخباره وتريه متجددات ايامه..."[22].

ونظم الخليفة المعتصم بالله البريد بينه وقائده عجيف بن عنبسة الذي وجهه للقضاء على حركة الزط عام 219هـ/834م ، فرتب الخيل في سكة البريد فكانت اخبار الزط تأتيه بمدينة السلام في ساعات من النهار او اول الليل[23].

وبلغ ذلك اعلى درجات التنسيق والتنظيم حين وجه قائده الافشين عام 222هـ / 836 م لقتال بابك الخرمي ببرزند [24]، فقد استخدم كل وسائل الاخبار الكفيلة بايصال الخبر بأسرع مايمكن وفق متطلبات الظروف الطبيعية والميدانية

وغيرها، فرتب الخيول المضمرة مابين سامراء وعقبة حلوان ، وجعل الديادبة فيما وراء ذلك على رؤوس الجبال للنعير اشعاراً بوصول الاخبار ، فكانت الخريطة تصل من عسكر الافشين الى سامراء في اربعة ايام او اقل[25].

وقد رتبت الجمازات الى جانب الخيل في سكك البريد لنقل الاخبار على وجه السرعة ففي عام 302هـ / 914م حين استطال صاحب القيروان على مصر ، بعث الخليفة المقتدر بالله ، مؤنس الخادم لمحاربته فكانت اخباره تصل الى بغداد كل يوم على الجمازات التي رتبها الوزير علي بن عيسى[26].

ب. الحمام الزاجل[27]

ويعد من وسائل المخابرة السريعة التي كان لها شأن عظيم في التبليغ والتحذير،وتبادل المعلومات لاسيما اثناء حدوث الفتن والازمات والحروب. وكانت طبيعة الرسائل التي تنقل بواسطة الحمام هي اشبه ماتكون بالبرقيات الموجزة [28] التي تتضمن في الغالب اوامر وتعليمات صادرة عن القيادات السياسية والحربية ، وتعود الاستعانة بالحمام الزاجل عند الامم الى عهود موغلة في القدم ، فلقد عدت الحمامة التي اطلقها نوح (عليه السلام) حين كان بالسفينة ايام الطوفان لتعلمه امر الماء،اول حمامة اضطلعت بمهمة نقل الاخبار[29].

وكانت طريقة التراسل بالحمام تتم بشد الرسالة تحت جناح الحمامة وذلك لقوة الجناح ولحفظها من المطر [30]. وجرت العادة للاطمئنان من وصول الرسالة ان تكتب نسختين من الرسالة وتؤرخان بساعة كتابتهما ويعلق كل منهما في جناح طائر،أي انهما ترسلان مع حمامتين ، تطلق على التوالي بفارق زمني يقدر بساعتين وذلك ضماناً لوصول احداهما ان تعرضت الاخرى الى خطر ما كالقتل او الافتراس من قبل الجوارح[31].

وقد شاع استخدام هذا النوع من التراسل في العصر العباسي فذكر ان الخليفة هارون الرشيد حين خرج ماشياً الى مكة عام 180هـ / 796م ، استعان بالحمام في نقل اخبار الدولة اليه [32]. كما روى المسعودي [33] ان الخليفة المعتصم بالله وصلت اليه انباء القبض على بابك الخرمي عام 22هـ / 836م بواسطة الحمام الزاجل بقوله :" واطلقت الطيور الى المعتصم ، وكتب اليه بالفتح..".

واورد ابن عذاري المراكشي[34] ان الخبر كان يصل من طرابلس الى رقادة من ساعته مع الحمام ، وان قائد عبيد الله المهدي ، "حباسة بن يوسف" حين دخل مدينة برقة عام 301هـ / 913م وقف على جماعة بها كانوا يكاتبون بني العباس على اجنحة الطيور[35].

ومما ذكر في هذا الصدد ايضاً ، ان الوزير علي بن عيسى رتب مابين بغداد ونهر زبارا المرتبين ، وسلم اليهم مائة طير ليكتبوا على اجنحتها بأخبار القرامطة الذين اشتد خطرهم في كل ساعة وذلك عام 315هـ / 927م[36].

ولما قرب ابي طاهر القرمطي من الانبار عام 316هـ / 928م تطلع الخليفة المقتدر الى معرفة اخباره ، فلما عرف ابو علي بن مقلة ذلك ، طلب اطياراً وانفذها الى الانبار وعول على قوم من اهلها في مكاتبته بالاخبار على الساعات فكان يرد ماينفذه لوقته الى نصر الحاجب فيعرضه على الخليفة الامر الذي هيأ لاستيزاره[37].

وفي عام 321هـ / 933م استطاع ابن قرابة ان ينقل الى الوزير ابن مقلة اخبار سلامة الكوفة من القرمطي عن طريق اطيار جاره وكان من اهل الكوفة ، قبل وصولها رسمياً من قبل الجهات المعنية بذلك[38].

وهكذا كانت الاخبار ترسل بواسطة الحمام من جهات عديدة فيؤديها ويعود بالاجوبة عنها بأسرع وقت ممكن ، وقد اشار الجاحظ [39]الى ذلك بقوله :"

لولا الحمام الهدي التي جعلت برداً لما جاز ان يعلم اهل الرقة والموصل وبغداد وواسط، ماكان بالبصرة ، وحدث بالكوفة في يوم واحد ، حتى ان الحادثة لتكون بالكوفة غدوة فيعلمها اهل البصرة عشية ذلك اليوم".

كما اشارت النصوص التاريخية الى ماوصلته البحرية الفاطمية في استخدام الحمام الهدي بدرجة عالية من الاتقان في ربط اسطولها البحري بالقواعد البرية ، والحصول على معلومات من اجل الدفاع ، واتخاذ الاحتياطات الضرورية من خطر الهجمات المعادية[40]. لذلك عد حمام الرسائل من معجزات خلق الله فيما تحمله من البطائق وماتورده من سرعة الاخبار الواضحة الحقائق مع بعد المسافة مما لايصله البريد في افضل حالاته[41].

ج. المراسلة بالمناور (المناظر)[42]

استعمل العرب المسلمون في الابلاغ والتحذير طريقة اسرع من الحمام الا وهي بناء المناظر ، او المنائر كالابراج العالية على المرتفعات ونقل الاشارات بينها برفع النار عليها ليلاً،وتصاعد الدخان منها نهاراً،فينقل الخبر بها من منظرة الى اخرى حتى يبلغ المكان المطلوب[43].

فكانت تمثل اسرع وسائل الانذار والتحذير المبكر التي استخدمها العرب في العصور الاسلامية ، فهي تشبه في سرعتها لحد ما وسائل الاتصال اللاسلكية الحديثة من حيث فاعليتها في سرعة نقل اشارات الاعلام والتنبيه.

ولابد من الاشارة الى ان استخدام النار لهذه الغاية يعود الى عهود موغلة في القدم ، فلقد اشير الى استخدامها من قبل الاشوريين والمصريين والفرس واليونان والرومان وغيرهم[44]. وقد ذكر القلقشندي [45] ان المناور مأخوذة عن ملوك الهند ، وانه قرأ في بعض الكتب " أن ببلادهم مناور على جبال مرتفعة ترى النار فيها على

بعد اكثر . إذ قد ترقى في سرعة بلوغ الاخبار الى الغاية القصوى ، وذلك ان البريد يأتي من سرعة الخبر بما لم يأت به غيره ، والحمام يأتي من الخبر بما هو اسرع من البريد والمناور تأتي من الخبر بما هو اسرع من الحمام..".

وهنالك اشارات تاريخية وأدبية عديدة تفيد بأستخدام العرب قبل الاسلام النار للتراسل ، فكانت عندهم نار الحرب يوقدونها على جبالهم اذا ارادوا حرباً او توقعوا جيشاً عظيماً وأرادوا الاجتماع فيبلغون الخبر أصحابهم بواسطتها[46].

فلقد أورد الطبري[47] ان الحارث بن عمرو الكندي ملك الحيرة خرج بصحبة "تبع" ملك اليمن لفتح فارس ، ووصلا حتى الصين وجعلا النار فيما بينهما، فإذا حدث اوقد احدهما النار بالليل فأتى الخبر في ليله للاخر،وآية مابينهما ان اشعال نار واحدة يخالف في المعنى اشعال نارين او ثلاثة ، وهكذا تغلبا على بعد المسافة بينهما ، فكانا على اتصال دائم بواسطة النار.

وفي ظل الدولة العربية الاسلامية ، اتقن العرب بدورهم استخدام المناور منذ موجة الفتوحات الاسلامية الاولى ، ومما ذكر في هذا الشأن أن الخليفة عمر بن الخطاب كتب الى معاوية بن ابي سفيان واليه على الشام،طالباً منه ترميم حصون سواحلها وترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس على مناظرها وإتخاذ المواقيد لها [48] . كأشارة اخبارية سريعة للانذار المبكر عن هجوم الاعداء من ناحية البحر. وشاع استخدام هذه الوسيلة أبان العصر الأموي لتتبع اخبار الفتن ، والفتوح الكثيرة ، ورصد تحركات اعداء الدولة على الحدود [49] . فمما رواه ياقوت الحموي [50] أن الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق "أتخذ المناظر بينه وبين قزوين ، وكان اذا دخن اهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً ، وان كان ليلاً أشعلوا نيراناً فتجرد الخيل اليهم ، فكانت المناظر متصلة مابين قزوين وواسط، وكانت قزوين ثغراً حينئذ.." وأورد

ياقوت[51] أيضاً في مجمل حديثه عن باب الأبواب الواقعة على بحر الخزر "أنها كانت ثغراً يجمع في رأس جبل قريب منها في كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار ان احتاجوا اليه ، ينذرون اهل أذربيجان واران وأرمينية بالعدو ان دعمهم".

ويحدثنا ابن أعثم الكوفي [52] ، ان القائد الاموي سعيد بن عمرو الحرشي استخدم النيران في ابلاغ الحامية الإسلامية المحاصرة في مدينة ورثان بأرمينية ، بقرب وصول نجدته اليها حتى يعزز صمود المسلمين ويوقع الرعب في قلوب اعدائهم الخزر ، وهو ماحدث بالفعل اذ ارتفع دخان النيران ، "فعلم اهل ورثان انه قادم اليهم ، ونظرت الخزر الى ذلك الدخان فارتحلوا عن باب ورثان".

في ضوء المؤشرات التاريخية السابقة يضعف ادعاء متز [53] في القول بإن استعمال النار كوسيلة للمراسلة عند المسلمين كان مقصوراً على البلاد التي كانت تابعة للدولة البيزنطية قبل عمليات التحرير الإسلامية ، بحجة ان هذه الدولة كانت تستعملها ، في حين تبين لنا ان عادة ايقاد النار في الابراج هي في الغالب عربية قديمة ، وان كل ماحدث في العصور الإسلامية انما هو ادخال العديد من التحسينات على نظام المشاعل ، حتى غدت تستخدم استخداماً حسناً في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي على طول سواحل الشمال الإفريقي في عهد الاغالبة ، فكانت القوافل التجارية تسير في الطرق وهي آمنة لكثرة الحصون والمحارس على ساحل البحر فكانت توقد النار من مدينة سبته الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في الليلة الواحدة [54] وبينهما مسيرة اشهر [55]. وكان مابين الاسكندرية وطرابلس الغرب خمس واربعون مرحلة [56] ، تتخللها حصون متقاربة جداً،فإذا ظهر في البحر عدوٌ نور كل حصن للحصن الذي يليه،واتصل التنوير ، فينتهي خبر العدو

من طرابلس الى الاسكندرية او العكس في ثلاث ساعات او أربع من الليل فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم[57].

وقد احرزت منارة الاسكندرية [58] شهرة تاريخية واسعة في هذا الشأن،فكان فيها مرتبون مختصون لوقود النار طول الليل،فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعدٍ[59] فاذا رأى اهل المنار ما يريبهم اشعلوا النار من جهة المدينة ، فحين يراها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو[60].

واستخدمت المناظر على نطاق واسع أبان الحروب التي خاضها العرب المسلمون ضد الروم والصليبيين والمغول على حد سواء، وأختيرت في بلاد الشام المواقع الإستراتيجية لهذه المناظر ، ومما ساعد على ذلك طبيعة المنطقة وكثرة الجبال فيها فكانت مناور الثغور والرباطات على طول سواحل بلاد الشام متصلة بمنارات في الداخل تنتهي عند القصبة او المدينة المسؤولة عن الدفاع عن ذلك الثغر،ولقد تحدث المقدسي[61] عن مناور هذا الساحل وكيفية اتخاذها وسيلة للتفاهم بين العرب والروم عند افتداء الاسرى فقال "وعلى هذا الساحل رباطات على البحر يقع بها النفير وتقلع اليها شلنديات الروم وشوانيهم معهم من اسارى المسلمين للمبيع..وفي كل رباط قوم يعرفون لسانهم ويذهبون اليهم في الرسالات ، ولقد ضج بالنفير لما ترايت مراكبهم ،فإن كان ليل اوقدت منارة ذلك الرباط وان كان نهار دخنوا. ومن كل رباط الى القصبة عدة مناير شاهقة قد رتب فيها قوم،فتوقد المنارة التي تلي الرباط ثم التي تليها..فلا يكون ساعة الا وقد انفر بالقصبة وضرب بالطبل على المنارة،ونودي الى ذلك الرباط وخرج الناس بالسلاح والقوة ثم يكون الفداء.."

ولقد ذكر جوزيف رينو[62] ، ان العرب اقاموا حصوناً كثيرة على متن الجبال بلبة الساحل الفرنسي والايطالي،وانه كانت لهم ابراج كثيرة منتظمة عليها،توقد بها

النيران ليلاً على حسب عادة العرب،إيذاناً بوقوع الحرب وطلبا للمدد وجمعاً للقوة.كما كانت هنالك أبراج متسقة في جميع سواحل الاندلس.

يستشف مما سبق انه في ظل العناية التي حظيت بها المناور (المناظر) من لدن الدولة العربية الاسلامية ، اصبح هنالك نظام لايقاد النار،وخصص لذلك عمال مختصون لمراقبتها ، وارصدت الاموال اللازمة لتحقيق ذلك من بيت المال.كما يستنتج أيضاً، انه لابد من اتباع رموز وأشارات معينة متفق عليها بين جماعة المنورين عند نقل الخبر من مكان الى اخر،كاختلاف حال النار بين شدة توهجها وضعفه، وكتعدد مشاعلها في الموضع الواحد ، وارتفاع مستواها الى الاعلى [63]،كأن تخصص الاخبار الحربية مثلاً للحالة الاولى ، والاخبار الداخلية في الولاية للحالة الثانية [64] وهكذا..الامر الذي يتطلب يقظة تامة.

د. التراسل بالطبول[65]

تبين لنا من خلال الحديث عن المناور كوسيلة للاخبار والتحذير،أن العرب استخدموا الى جانبها الطبول والابواق وسيلة اخبارية اخرى غايتها تكملة الهدف المرجو منها الا وهو الاشعار بالحدث والانذار بوقوعه.

ففي كلامنا عن منارة الاسكندرية ، توضح لنا ان المرتبون فيها حينما يتراءى لهم مايريبهم في البحر ، اشعلوا النار من جهة المدينة ، ثم يعقب ذلك ضرب الابواق والاجراس من قبل الحرس لانذار الناس بأحتمال هجوم العدو فيتحركوا عند ذلك لقتاله[66].

كما اورد المقدسي [67] في مجمل حديثه عن مناور رباطات الساحل الشامي ودورها في اشعار الناس بقدوم مراكب الروم ووقوع الفداء،الضرب بالطبول من قبل المرتبين بعد ايقادهم النار في المناور لكي يخرج الناس بالقوة والسلاح ثم يكون الفداء.

ومما رواه الطبري [68] في هذا المجال ، ان هرثمة بن اعين قائد الخليفة المأمون بالله لما فرغ من محاربة ابي السرايا ومحمد بن محمد العلوي،وأنتصر عليهما ودخل الكوفة عام 200هـ/815م قرر ان يلقى الخليفة شخصياً – وكان يقيم آنذاك في مرو – ليعرفه بما كان يدبر عليه وزيره الفضل بن سهل وما يكتم عنه من الاخبار .فلما بلغ هرثمة مرو خشى ان يكتم على المأمون قدوره،فأمر رجاله بضرب الطبول لكي يسمعها المأمون ويصله خبره.

وهنالك اشارات تاريخية لاستخدام الطبول استخداماً حسناً في ساحة القتال كعلامة اخبارية لتحرك قطعات الجيش،ففي عهد الخليفة المعتصم بالله استعان قائده الافشين في محاصرة بابك الخرمي،وبالتالي القضاء على حركته وفتح مدينة البذ عام 222هـ/836م بالطبول لاشعار قواته في ميدان القتال بحركات سيره،ووقوفه نظراً لتعذر الاتصال بجنده لكثره الدروب وتشعب الطرقات بين جبال اذربيجان الوعرة،وكان يحمل الطبول على البغال،وقد بلغ عدد طبوله الكبار واحد وعشرين طبلاً وكانت علامة السير لقواته المنتشرة هو ضرب الطبول،فإذا ما اراد ان يقف امسك عن ضربها[69].

كما اورد ابن الاثير [70] في احداث عام 347هـ/958م عملية حصار وفتح مدينة فاس، فحين حاصر ابو الحسن جوهر قائد المعز الفاطمي مدينة فاس مدة من الزمن بعث بزيري بن مناد الصنهاجي–احد قواده – مع جماعة ممن لهم شجاعة واقدام،فتسللوا الى داخل المدينة،وبعد نجاح مهمتهم أشعلوا المشاعل وضربوا الطبول ، وكانت العلامة بين زيري وجوهر،فلما سمعها جوهر اقتحم بقواته مدينة فاس.

ولابد ان تكون هنالك وسائل اخرى للمخاطبة والتحذير والسريع، استخدمت في حالات الحصار وانقطاع السبل بين الطرفين المتراسلين كان تكتب الاخبار المستعجلة والهامة على السهام وترمى الى المكان المراد ايصال الخبر اليه[71].

وهكذا كانت وسائل التحذير والانذار المبكر عند العرب المسلمين تدلل على يقظتهم التامة وادراكهم للخطر المحدق بهم لاسيما عند احتمال تعرض ديارهم الى الاعتداء الخارجي،وفي اوقات الازمات والحروب ،فكانت بمثابة صمام الامان لاستبعاد المباغتة والهجمات المفاجئة،ووسيلة مهمة من وسائل الحفاظ على الامن القومي للدولة العربية الاسلامية.

الهوامش

(1) الانصاري،عمربن ابراهيم الاوسي،تفريج الكروب في تدبيرالحروب،تحقيق:د.جورج سكانلون،(القاهرة،1961م)،ص14.
(2) الدمياطي ، عبد المؤمن المصري ، فضل الخيل ، (حلب1930م) ، ص86.
(3) انظر:المبرد ، ابو العباس ، الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف،ج2 ،(مصر ، 1937م) ، ص423.
(4) انظر:دوزي،رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة :د.محمد سليم النعيمي ، ج1 ، (بغداد ، 1978م) ، ص270.
(5) انظر : ابن هشام ، عبد الملك ، سرية النبوية،تحقيق : مصطفى السقا واخرون،ج 2، (بيروت،لا.ت) ، ص265. ابن سعد ،ابو عبد الله محمد ، الطبقات الكبرى ، ج3 ،(بيروت ، 1957م) ، ص106.
(6) انظر:الطبري،محمدبن جرير،تاريخ الرسل والملوك،تحقيق:محمدابوالفضل ابراهيم،ج 3(دارالمعارف،لا.ت)،ص295، ص313. ابن اعثم الكوفي ، الفتوح،ج1، (حيدر آباد ،1969م) ،ص132.
(7) الازدي، محمد بن عبد الله ، تاريخ فتوح الشام ، (القاهرة1970م) ، ص56 ، ص68.
(8) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص491.
(9) انظر مثلاً : م.ن ، ج3 ،ص492 ، ص498 ،ص566.
(10) ابن عساكر ، علي بن الحسن ، التاريخ الكبير ،ج1 (روضة الشام ،1329هـ) ، ص158.
(11) الطبري،تاريخ ، ج4 ، ص67.

(12) العسكري،الحسن بن عبد الله ، الاوائل،(المدينة المنورة،1966م) ،ص191.العمري ، احمد بن فضل الله ، التعريف بالمصطلح الشريف ، (القاهرة ،1312هـ)،ص185،184.

(13) ابن طباطبا ، محمد بن علي ، الفخري في الاداب السلطانية ، (دار صادر ، 1966م)، ص106. الكتاني ، عبد الحي ، التراتيب الادارية ،ج1 (بيروت ، لا.ت) ، ص192.

(14) العمري ، التعريف ، ص184 ، ص185.

(15) ابن سعد ، الطبقات ، ج5 ، ص176 . العسكري ، الاوائل ، ص191.

(16) كانت ابرزهذه الحركات،حركة عمروبن سعيد الملقب بالاشدق،وحركة عبدالله بن الزبير،ومصعب بن الزبير،وحركة عبد الرحمن بن الاشعث.انظر:الطبري،تاريخ،ج6،ص140–148،ص151–162.ص174–175، ص334–350.

(17) انظر : البلاذري ،فتوح ، ص442.

(18) العمد ، احسان صدقي ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، (بيروت ،1973م) ،ص385.

(19) انظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص203–204.

(20) تاريخ الرسل ، ج6 ، ص492 ،493.

(21) ابن اعثم ، الفتوح ، ج8 ، ص57 ، 58.

(22) العمري ، التعريف ، ص186،185.

(23) البلاذري ،فتوح ، ص383 . الطبري ، تاريخ ، ج9 ، ص8.

(24) ابن اعثم ، الفتوح ، ج8 ، ص352.

(25) الطبري ، تاريخ ، ج9 ، ص52.

(26) عريب ،ابن سعد القرطبي،صلة تاريخ الطبري،تحقيق:محمدابوالفضل ابراهيم ، (القاهرة ، لا.ت) ، ص52.

(27) الزاجل : ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد ، وزجل الحمام يزجلها زجلاً ، ارسلها على بعد ، وهي حمام الزاجل . انظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ،ج11 ، (بيروت ، 1955م) ، ص301.

(28) السيوطي ، جلال الدين ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ج 2 (القاهرة ، لا.ت)،ص186 ، انطوان ، نعمان ،الطائر الغريد في وصف البريد،مجلة المقتطف،(القاهرة ،1890م)،ص9.

(29) صباغ،ميخائيل،مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام،(باريس، 1805م)،نشرفي مجلة الموردعدد 3/1973م، ص148.

(30) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2 ، ص186.

(31) القلقشندي،أحمد بن علي،صبح الاعشى في صناعة الانشا،ج1،(نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية)، ص118.

(32) ابن قتيبة،عبدالله بن مسلم،الامامة والسياسة(المنسوب)،ج2،تحقيق:د.طه محمد الزيني ،(القاهرة،1967م) ،ص162.

(33) مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج3 (بيروت،1966م)،ص469.

(34) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،ج1 (بريل،1948م) ،ص164.

(35) م.ن،ج1 ،ص170.

(36) مسكويه،احمد بن محمد،تجارب الامم وتعاقب الهمم ، ج1 (شركة التمدن الصناعية،1914م) ، ص179.

(37) ابن الجوزي،عبدالرحمن بن علي،المنتظم في اخبار الملوك والامم،ج6،(حيدر آباد ،1357هـ) ، ص216.

(38) مسكويه ، تجارب ،ج1 ،ص262.

(39) الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج1 (القاهرة ،1943م) ، ص96،97.

(40) انظر : ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ،ج 10 (دار صادر ، بيروت ، 1965م) ، ص166 .ج11 ،ص125 –126.

(41) صباغ ، مسابقة البرق ، ص151.

(42) المناظر : جمع منظرة ، وهو الموضع الذي ينظر منه ، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره ، وقبل المنظرة في رأس جبل فيه رقيب . ينظر العدو ويحرسه منه .أنظر : ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج5 (بيروت،1957م)،ص203.

(43) القلقشندي،صبح الاعشى ،ج14،ص399.

(44) سماحة،ميشال افندي ، ترقي التواصل بسرعة التراسل،مجلة المشرق،عدد18/1903م، ص825.

(45) صبح الاعشى ،ج14 ،ص400.

(46) الجاحظ ، الحيوان ،ج 4 ، ص474.ولقد اطلق عليها الثعالبي اسم (نار الانذار).انظر : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم،(القاهرة، 1965م)،ص461 . كما سماها العسكري (نار الاهبة للحرب) ،أنظر : الاوائل ،ص28.

(47) تاريخ الرسل،ج2 ، ص96–97.

(48) البلاذري ، فتوح ، ص134–135.

(49) انظر مثلاً: ابن اعثم ، الفتوح،ج8 ، ص48–49 . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج5 ، ص350.

(50) معجم البلدان ، ج5 ،ص350.

(51) م.ن،ج1 ، ص303.

(52) الفتوح ، ج8 ، ص48–49.

(53) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج2 (بيروت ،1967م) ، ص421–422.

(54) ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ، ص283–284.

(55) المقريزي،تقي الدين احمد بن علي،المواعظ والاعتبار في ذكرالخطط والاثار،ج4(ليدن،1913م)،ص186.

(56) المرحلة : 6 أو 7 فراسخ . انظر : المقدسي ،ابو عبد الله محمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،(ليدن 1906م)،ص106 ، والفرسخ يعادل ثلاثة اميال. انظر : المقدسي ، مطهر بن طاهر ، البدء والتاريخ ، ج 4 (باريس،1899م) ، ص90.

(57) انظر : المراكشي ، عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق:محمد سعيد العريان (القاهرة ، 1963م) ، ص432. وقد بقي هذا الامر معروفاً الى ان خربت الاعراب تلك الحصون ايام خلّى بنو عبيد بينهم وبين الطريق الى المغرب وذلك في حدود 440هـ/1048م حين اثار المعز بن باديس الصنهاجي الفتن في المغرب في وجه الفاطميين الذين لم يعودوا يستطيعون حماية هذه الحصون.

(58) كانت منارة الاسكندرية احد بنيان العالم العجيب،بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيليبش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقباً في اعاليها مرآة عظيمة من نوع الاحجار المشعة ليشاهد منها مراكب البحر..أنظر : المقريزي ، خطط،ج1 ،ص157.

(59) العدوي ، ابراهيم بن احمد ، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط ، (مصر،1963م)،ص150.

(60) المقريزي ، خطط ،ج 1 ، ص157 . الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار،تحقيق : د.احسان عباس ،(بيروت ،1975م) ، ص55.

(61) أحسن التقاسيم ، ص177.

(62) تاريخ غزوات العرب ، ترجمة : شكيب ارسلان ،(بيروت ،1966م)،ص297.

(63) العمري،التعريف،ص199.

(64) سعداوي ، نظير حسان ، نظام البريد في الاسلام ،(القاهرة،1953م) ، ص152.

(65) يرجع استخدام الطبول للتراسل والاخبار الى عهود موغلة في القدم من قبل امم عديدة ، ولقد اشار القلقشندي الى استخدامها من قبل الهنود ، فكان بين دلي وقبة الاسلام اللتين هما قاعدتا مملكتهم طبول مرتبة في اماكن خاصة..انظر : القلقشندي،صبح الاعشى ، ج5 ، ص98.

(66) المقريزي ، خطط ، ج1 ، ص157 . الحميري ، الروض المعطار ،ص55.

(67) أحسن التقاسيم ، ص177.

(68) تاريخ الرسل ، ج8 ، ص542.

(69) م.ن ، ج9 ، ص34.

(70) الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص524-525.

(71) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ج1 (بيروت، لا.ت) ، ص234.

المصادر والمراجع

أ. المصادر

- ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد (ت : 630هـ/1233م).

١. الكامل في التاريخ ، 12 جزء ، دار صادر (بيروت،1965م).

- الازدي ، محمد بن عبد الله ، (ت: 231هـ / 845م).

٢. تاريخ فتوح الشام ،(القاهرة ،1970م).

– ابن اعثم الكوفي ، ابو محمد احمد (ت:نحو 314هـ/926م).
٣. الفتوح ، 8 اجزاء ، ط1 (حيدر آباد ،1968م – 1975م).
– الانصاري ، عمر بن ابراهيم الاوسي ، (من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي).
٤. تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق : د.جورج سكانلون،(القاهرة ، 1961م).
– البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، (ت:279هـ/892م).
٥. فتوح البلدان ، ط1 (القاهرة ، 1901م).
– الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، (ت:429هـ / 1038م).
٦. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة ،1965م).
– الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت: 255هـ/868م).
٧. الحيوان ، 7 اجزاء ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (القاهرة ،1943-1966م).
– ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/1201م).
٨. المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط1 (حيدر آباد ، 1357هـ-1358هـ).
– ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت:257هـ/870م).
٩. فتوح مصر واخبارها ، (ليدن ، 1920م).
– الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت: 900هـ/1484م).
١٠. الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : د.احسان عباس ،(بيروت ، 1975م).
– الدمياطي ، عبد المؤمن المصري ، (ت: 705هـ/1305م).
١١. فضل الخيل ، (حلب،1930م).
– ابن سعد،محمد بن منيع البصري (ت: 230هـ/844م).
١٢. الطبقات الكبرى ، 8 اجزاء ،(بيروت ، 1958م-1960م).
– السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت:911هـ/1505م).
١٣. حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، جزأن ، (القاهرة،لا.ت).
– ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت:709هـ/1309م).
١٤. الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر (بيروت،1966م).
– الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، (ت: 310هـ/922م).
١٥. تاريخ الرسل والملوك ، 10 اجزاء ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف (القاهرة ، لا.ت).
– ابن عذاري المراكشي ، (كان حياً عام712هـ/312م).
١٦. البيان المغرب في اخبار بلاد الاندلس والمغرب ، ج1 (بريل،1948م).
– عريب،ابن سعد القرطبي ، (ت: 366هـ/976م).

١٧. صلة تاريخ الطبري،تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم،(القاهرة،لا.ت).
– ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت: 571هـ/1175م).
١٨. التاريخ الكبير ، 7 اجزاء ، ط1 ، (دمشق ، 1329هـ/1332هـ).
– العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله (ت:395هـ/1004م).
١٩. الاوائل، تحقيق : محمد السيد الوكيل ،(المدينة المنورة ،1966م).
– العمري ، شهاب الدين احمد بن فضل الله ،(ت: 749هـ/1348م).
٢٠. التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة (القاهرة1312هـ).
– ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري ، (ت: 276هـ/889م).
٢١. الامامة والسياسة (المنسوب) ، جزأن ، تحقيق : د.طه محمد الزيني،مؤسسة الحلبي (القاهرة ،1967م).
– القلقشندي ، احمد بن علي (ت:821هـ/1418م).
٢٢. صبح الاعشى في صناعة الانشا ، 14 جزء ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية.
– المبرد ، محمد بن يزيد ، (ت:285هـ/898م).
٢٣. الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف ، 4 اجزاء ،ط1 (القاهرة،1937م).
– المراكشي ، عبد الواحد بن علي ، (ت:647هـ/1249م).
٢٤. المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان (القاهرة ،1963م).
– المسعودي،علي بن الحسن بن علي (ت:346هـ/957م).
٢٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 4 اجزاء ، دار الاندلس (بيروت ،1965-1966م).
– مسكويه، احمد بن محمد ، (ت: 421هـ/1030م).
٢٦. تجارب الامم وتعاقب الهمم ، ج1 ، (شركة التمدن الصناعية ،1914م).
– المقدسي ، مطهر بن طاهر ، (ت: 355هـ/965م).
٢٧. البدء والتاريخ ، 6 اجزاء ، (باريس ،1899م-1916م).
– المقدسي ، ابو عبد الله محمد المعروف بالبشاري (ت:375هـ/985م).
٢٨. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،(ليدن،1906م).
– المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت:845هـ/1441م).
٢٩. المواعظ والاعتبارفي ذكرالخطط والاثار،7 اجزاء،(ليدن،1913م)،جزأن(طبعة جديدة بالاوفسيت، لا.ت).
– ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت:711هـ/ 1311م).
٣٠. لسان العرب ، 15 اجزاء ،(بيروت،1955م-1956م).
– ابن هشام ، عبد الملك ، (ت:218هـ/823م).

٣١. السيرة النبوية ، 4 اجزاء ، تحقيق : مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي ، دار احياء التراث العربي ،(بيروت،لا.ت).
– ياقوت الحموي ، (ت:626هـ/1228م).
٣٢. معجم البلدان ، 5 اجزاء ، (بيروت ، 1957م).

ب. المراجع

– انطون ، نعمان .
١. الطائر الغريد في وصف البريد ، المقتطف (القاهرة،1890م).
– دوزي، رينهارت.
٢. تكملة المعاجم العربية،ترجمة:د.محمد سليم النعيمي،5 اجزاء،دارالرشيد،(بغداد،1978م–1982م).
– رينو ، جوزيف.
٣. تاريخ غزوات العرب ، ترجمة : شكيب ارسلان ، (بيروت ، 1966م).
– زيدان ، جرجي.
٤. تاريخ التمدن الاسلامي ، 4 اجزاء (بيروت،لا.ت).
– سعداوي ، نظير حسان.
٥. نظام البريد في الاسلام ، (القاهرة ، 1953م).
– سماحة ، ميشال افندي الياس.
٦. ترقي التواصل بسرعة التراسل ، مجلة المشرق ، عدد 18/ لسنة 1903م.
– صباغ ، ميخائيل بن نقولا.
٧. مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام ، تحقيق : حكمت توماشي ، (باريس، 1805م) ، نشر ضمن مجلة المورد ، عدد 3/1973م.
– العدوي،ابراهيم احمد.
٨. قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط ، (القاهرة ، 1963م).
– العمد،احسان صدقي.
٩. الحجاج بن يوسف الثقفي، دار الثقافة (بيروت ، 1973م).
– الكتاني ، عبد الحي.
١٠. التراتيب الادارية ، جزأن (بيروت ، لا.ت).
– متز ،آدم.
١١. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جزأن ، (بيروت، 1967م).

And rapid means of communication in the Arab-Muslim wars until the middle of the fourth century AH

Prof . Dr. Khawlah Issa Salih AL-Fadhily
Baghdad University - College of education for women
History Department

(Abstract Research)

This Study is concerned with The Fast communications in the wars of arab moslims until the middle of fourth century . it pointed to many communications for that , Like using the fast horses , and carrier pigeon , Almanader (Almanawin) wich used to tell for long distances , and drums , trumpets…